جامعة المدينة العالمية
Al-Madinah International University

مجلة الرّاسخون
ARRASIKHUN JOURNAL

ARRASIKHUN JOURNAL

PEER-REVIEWED INTERNATIONAL JOURNAL

مجلّة الرّاسخون

مجلّة عالميّة محكّمة

ISSN: 2462-2508

Volume 6, issue 2, December 2020

الإصدار السادس، العدد الثاني، ديسمبر 2020

جميع الحقوق محفوظة @ جامعة المدينة العالمية 2020

مجلة الراسخـــون

مجلة عالمية محكمة

ISSN:٢٤٦٢-٢٥٠٨

أبحاث العدد السابع - ديسمبر ٢٠٢٠م

أولًا: الدراسات الإسلامية

البحث	صفحة
١. آيات الأحكام في كتاب روضة الطالبين للنووي من سورة الأنعام دراسة مقارنة بكتابي أحكام القرآن للجصاص، وأحكام القرآن لابن العربي	١-١٨
٢. شجاع بن نور الله الأنقروي الرومي الحنفي الفرضى المتوفى سنة ٩٦٥هـ وكتابه حل المشكلات في الفرائض (دراسة في المنهج والموضوع)	١٩-٣٨
٣. قَاعِدَةُ «اَلتَابِعُ تَابِعٌ » وَمَا يَتَفَرَّعُ عَنْهَا مِنْ خِلَالِ مَجَلَّةِ الْأَحْكَامِ الْعَدْلِيَّةِ مَعَ تَطْبِيقَاتِهَا فِي الْمَذْهَبِ الْحَنْبَلِيِّ ..	٣٩-٥٨
٤. مظاهر الوسطية والاعتدال وسبل تحقيقهما	٥٩-٨٢
٥. مقرر أصول الفقه في كليات الشريعة في الجامعات السعودية بين الواقع والمأمول	٨٣-١٠٥
٦. موقف المستشرقين من صلاة الجمعة (دراسة تحليلية)	١٠٦-١٣٣

ثانياً: الدراسات اللُّغويَة

البحث	صفحة
١. الاستشهاد بالحديث النبوي عند مدرسة التقليبات الصوتية (معجم العين نموذجًا)	١٣٤-١٥٢
٢. ابن الأبار القُضاعي البَلنسي بين الشعر والتاريخ	١٥٣-١٧٠
٣. تقييم مدى سهولة وصعوبة تعليم اللغة العربية وتعلمها لدى المتعلمين الثنائيي اللغة في موريشيوس	١٧١-١٨٥

ثالثاً: الدراسات التربوية

البحث	صفحة
١. واقع تفعيل معلمي اللغة العربية للإذاعة المدرسية في المرحلة الثانوية بالمدارس الحكومية بمكتب تعليم شمال جدة	١٨٦-٢١٠

أعضاء هيئة تحرير المجلة:

رئيس المجلة: الأستاذ المشارك الدكتور/ فضلان محمد عثمان

نائب رئيس المجلة: الأستاذ المشارك الدكتور/ الطيب مبروكي

مدير هيئة التحرير: الأستاذ المساعد الدكتور/ عبد الله يوسف

نائب مدير هيئة التحرير: الأستاذ المشارك الدكتور/ محمد صلاح الدين أحمد

سكرتيرة المجلة: الأستاذة/ رنا سالم

محكمو أبحاث العدد (حسب الترتيب الأبجدي):

- الأستاذ المساعد الدكتور/ إبراهيم محمد أحمد البيومي.
- الأستاذ المشارك الدكتور/ إيمان محمد مبروك قطب قطب.
- الأستاذ المشارك الدكتور/ حساني محمد نور.
- الأستاذ المشارك الدكتور/ خالد حمدي عبد الكريم.
- الأستاذ المشارك الدكتور/ رقية ناجي إسماعيل.
- الأستاذ المساعد الدكتور/ سمير سعيد حسين الحصري.
- الأستاذ المشارك الدكتور/ السيد سيد أحمد محمد نجم.
- الأستاذ المشارك الدكتور/ عبد الله رمضان خلف مرسي.
- الأستاذ المساعد الدكتور/ عبد الله يوسف.
- الأستاذ المشارك الدكتور/ عبد الناصر خضر ميلاد.
- الأستاذ المساعد الدكتور/ مجدي عبد العظيم إبراهيم.
- الأستاذ المساعد الدكتور/ محمد بخيت إبراهيم.
- الأستاذ المشارك الدكتور/ محمد صلاح الدين أحمد فتح الباب.
- الأستاذ المشارك الدكتور/ محمد عبد الرحمن إبراهيم سلامة.
- الأستاذ المساعد الدكتور/ محمد عبد الله عباس الشال.
- الأستاذ المساعد الدكتور/ محمد مصطفى شعيب.
- الأستاذ المشارك الدكتور/ نادي قبيصي البدوي سرحان.
- الأستاذ المشارك الدكتور/ وليد علي محمد السيد الطنطاوي.

Arrasikhun International Journal, Volume 6, Issue2 , December 2020

ISSN: 2462-2508

ابن الأَبَّار القُضاعي البَلنسِي بين الشِّعر والتَّاريخ

د. محمد الشال

أستاذ مساعد بكلية اللغات

جامعة المدينة العالمية – ماليزيا

malshal2000@gmail.com

الملخص

الشعر ديوان العرب، وسجل أخبارهم، وحروبهم، وتاريخهم، وقد كان الشعراء منذ القِدم يتسارعون في الحديث عن هذه الأخبار وتلك الحروب ويصورنها في أشعارهم، وها نحن الآن بصدد شاعر من شعراء القرن السابع الهجري في الأندلسي، ألا وهو ابن الأبار القُضاعي البلنسي، شاعر، وكاتب، ومؤلف، ومؤرخ. نطالع في هذا البحث حياة ابن الأبار وشعره، وعلاقة شعره بالتاريخ، والحقائق التاريخية والاجتماعية والثقافية التي أثرت في سير حياته، واستخدمت المنهج التاريخي في هذ البحث لجمع الأخبار والأحداث المختلفة من شعره، وتحليل بعض القصائد، كما نجد أن ابن الأبار وظف شعره في سرد الأحداث المختلفة لحياته وسقوط بعض مدن الأندلس، ويعد شعره وثيقة تاريخية تسجل أحداث عصره، كما نراه يتعرض لخروجه هو وسيده إلى أرض الروم وعندما علم أنهم يريدون الوقيعة بين المسلمين بعضهم بعضا عاد وترك سيده هناك، كما تعرضت في البحث إلى المعاملة في الحروب، فقد كان العرب والمسلمون أكثر إنسانية في حروبهم مع الأسرى وغيرهم على خلاف النصارى في حروبهم فقد كانوا أشد قسوة على العرب والمسلمين، كما يرى بعض المستشرقين الأوروبيين.

الكلمات المفتاحية: ابن الأبار – الشعر – التاريخ.

ISSN: 2462-2508

Abstract

Poetry is the office of the Arabs, and a record of their news, their wars, and their history, and poets from ancient times have been rushing to talk about these news and those wars and depict them in their poems, and here we are now in the process of a poet from the seventh century AH in Andalusian, namely, Ibn Al-Abbar Al-Qada Al-Balansi, a poet, A writer, author, and historian.

In this research we examine the life and poetry of Ibn al-Abbar, the relationship of his poetry to history, and the historical, social and cultural facts that affected the course of his life, and I used the historical method in this research to collect news and various events from his poetry, and analyze some poems, and we find that Ibn al-Abbar employed his poetry in narrating events His poetry is a historical document that records the events of his era, as we see it being subjected to his departure and his master to the land of the Romans. And Muslims are more humane in their wars with prisoners and others, unlike the Christians in their wars, as they were crueler to Arabs and Muslims, as some European Orientalists see.

Key words: Ibn al-Wells - Poetry - History.

ISSN: 2462-2508

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على محمد خاتم الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وأصحابه أجمعين، وبعد،،

فالشعر ديوان العرب، وديوان أخبارهم، فهو مرآةُ لكلِّ عصر من عصور الأدب والتاريخ، وبما أن الشاعر ابن بيئته وعصره، فإن شعرَه بالضرورة سجلٌّ حافلٌ بتوثيق أحداث عصره ومُجرياتها؛ من توثيق وقائع تاريخية، ومعارك حربية، وعادات وتقاليد اجتماعية، ودينية، وثقافية.

إننا نعيش مع الشاعر وشعره من الناحية التاريخية في عالم خاص يُصور بأسلوبه ولغته معركةً أو حادثةً أو يصور ممدوحَه أو طبيعة بيئته وحياته الثقافية والاجتماعية. إننا نعيش في هذا البحث مع شاعر ومؤرخ وكاتب كبير من كُتّاب الأندلس ألا وهو أبو عبد الله مُحمد بنُ الأبّارِ القُضاعيّ البَلَنْسيّ (595-658هـ)، وهو من شُعراء وكُتاب القرن السابع الهجري؛ هذا القرن الذي شهد أحداثا سياسية وعسكرية كثيرة، وصراعات مختلفة بين المسلمين وغيرهم، وكان نتيجة هذه الصراعات تراجع حكم الموحدين في الأندلس، وانكسار شوكتهم، وانحصارهم في بعض المدن، وذهاب ريحهم في معظم جهات الأندلس.

ترجع أهمية هذه الدراسة إلى عرض الأحداث التاريخية في عصر ابن الأبار، وسقوط بعض مدن الأندلس، والسبب في ذهاب ابن الأبار وسيده إلى بلاد الروم، وطلب الاستنجاد ونجدة الأندلس.

ولم أجد في الدراسات السابقة من تحدث أو تعرض للعلاقة بين الشعر والتاريخ في شعر ابن الأبار، سوى من قام بعرض قصيدته (السينية) وشرحها، أمثال: عبد السلام الهرّاس في كتابه: ابن الأبار البلنسي – الشاعر الوفي لوطنه: ، وعزوز زروقان في كتابه: شعر الاستصراخ في الأندلس.

وتعتمد هذه الدراسة على المنهج التاريخي، والذي يتتبع الباحث من خلاله الأحداث التي مرت بها الأندلس في هذه الفترة التي عاشها ابن الأبار وسقوط الأندلس مدينة بعد الأخرى.

وتحاول هذه الدراسة الإجابة على بعض التساؤلات الرئيسة، وهي: كيف أثرت حياة ابن الأبار التي عاشها قبل وبعد سقوط بلنسية في حياته العلمية والأدبية؟ وكيف وظّف شعره في سرد الأحداث التاريخية والاجتماعية؟ وما السبب من خروجه مع سيده إلى أرض الروم وإلى أرض تونس؟ هل كان العرب أكثر إنسانية في حروبهم من الفرنج؟

خطة البحث: يقع البحث في: مقدمة، وتمهيد، ومبحثين، وخاتمة، وثبت بالمصادر والمراجع.

في المقدمة: أتناول أهمية الدراسة، والدراسات السابقة، ومنهج الدراسة، وبعض التساؤلات حول البحث، وخطة الدراسة.

وفي التمهيد: أتناول: ابن الأبار البلنسي حياته وعصره؛ وأتناول فيه: نسبه، ومولده، ونشأته، وفاته، ومكانته العلمية والأدبية، وعصره.

وفي المبحثين أتناول في المبحث الأول: المنهج التاريخيي والنقد الأدبي، والعلاقة بينهما، وفي المبحث الثاني أتناول ابن الأبار بين الشعر والتاريخ، والحقائق التاريخية والاجتماعية والثقافية في شعره.

وخاتمة البحث، وثبت بمصادر ومراجع البحث.

ISSN: 2462-2508

تمهيد: ابن الأبار البلنسي حياته وعصره:

1- نسبه، ومولده، ونشأته[1]:

نسبه: هو العلامة البليغ، الكاتب المنشئ، الحافظ المؤرخ، المقرئ المجود، الناظم الناثر، المؤلف البارع أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أحمد القضاعي الأندلسي البلنسي، المعروف بابن الأبار.

مولده ونشأته: ولد ابن الأبار سنة خمسٍ وتسعين وخمسمائة من الهجرة (595هـ) في مدينة بلنسية (Valencia) والتي نشأ فيها، إذ تمتاز هذه البيئة بجمال الطبيعة، وبين أهل عرفوا بحسن الطباع وكرم النفوس وأناقة الأزياء، وفي جو علمي مُثقّف متفقّه.

كما نشأ ابن الأبار في بيت علم وصلاح، فوالده عبدالله بن أبي بكر ولد في أنده عام 571هـ، وكان عالماً بالقراءات مقبلاً على أمور الخير كثير التعبد وتلاوة القرآن الكريم حافظاً للمسائل، آخذاً فيما يُستحسن من الأدب، كما أنه يحظى بثقة الحكام.

وفاته[2]:

كانت وفاة ابن الأبار صبيحة يوم الثلاثاء الحادي والعشرين من المحرم عام 658هـ؛ وقد أمر السلطان المستنصر بقتل ابن الأبار بعد أن ضرب بالسياط كثيراً بمقصورة المحتسب من تونس خارج باب ينتجمي، ثم ندم السلطان بعد ذلك على قتله، وكان سبب قتله أن جرى يوما في المجلس ذكر مولد الواثق ابن الخليفة، فلما كان من الغد جلب بطاقة يعرف بها ساعة المولد الطالع، فلما وقف المستنصر عليها قال: هذا فضول ودخول منه في ما لا يعنيه من أمورنا – وأمر بتثقيفه بسقيف القصبة، وبعث إلى داره الغساني، وبينهما من العداوة ما يكون بين صاحب خطة أخذها أحدهما من يد الآخر، فوجد في تقاييده أبياتا منها[3]:

طَـغَـا بـتُـونـسَ خَـلْـفٌ
سَمَّـوْهُ ظُـلْـمـاً خَـلِـيـفَـهْ

فلما قرأها السلطان أمر بضربه ضربا شديدا، ثم قتل مرشوقا بالرماح، وأخذت كتبه وتقاييده فأحرقت في موضع قتله، وكانت نحو خمسة وأربعين تأليفا، وحكى المرادي أن البيت الذي وجد له يقتضي هجاء الخليفة هو قوله[4]:

عَصـــى[5] أباهُ، وجَـفـا أُمّـه
ولم يُـقِـلْ مـن عَـثـرة[6] عـمّـه

(1) – راجع عن حياته ونشأته: الوافي بالوفيات للصفدي 354/3، وفوات الوفيات: ابن شاكر الكتبي 404/3، ووفيات الأعيان: ابن خلّكان، تحقيق: د/ إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ط1 1967م، 140/1، وسير أعلام النبلاء: محمد بن أحمد الذهبي: تحقيق : د/ بشار عوّاد معروف و د/ محيي هلال سرحان، مؤسسة الرسالة، سوريا، ط9، 1997م، 336/23، ونفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب: أحمد بن محمد المقري التلمساني، تحقيق: د/ إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ط1، 1997م، 589/2 وما بعدها، والأعلام للزركلي 233/6، ومقدمة الديوان.

(2) – تاريخ الدولتين (الموحدية والحفصية) للزركشي: 35.

(3) – البيت من بحر المجتث، في الديوان: 475.

(4) – البيت من بحر السريع، في الديوان: 492.

(5) – وردت كلمة (عصى) في تاريخ الدولتين: عقّ.

(6) – وردت كلمة (عثرة) في تاريخ الدولتين: عشرة.

ISSN: 2462-2508

2-مكانته العلمية والأدبية وعصره[1]:

نال ابن الأبار مكانة علمية وأدبية مرموقة بين شعراء وكتاب عصره، فقد قال عنه ابن سعيد الأندلسي "حامل راية الإحسان، المشار إليه في الأوزان"[2]، ووصفه ابن عبد الملك المراكُشي: "كان آخر رجال الأندلس براعة وإتقانا، وتوسعا في المعارف وافتناناً، محدثا مكثرا، ضابطا عدلا ثقة، ناقدا يقظا، ذاكرا للتواريخ على تباين أغراضها، مستبحراً في علوم اللسان نَحواً، ولُغةً، وأدباَ، كاتبا بليغاً، شاعراً مفلقاً مجيدا، عني بالتأليف وبخت فيه، وأعين عليه بوفور مادته، وحسن التهدي إلى سلوك جادته، فصنف فيما كان ينتحله مصنفات برّز في إجادتها، وأعجز عن الوفاء بشكر إفادتها"[3]. وقال عنه الغبريني: "ولا يكاد كتاب من الكتب الموضوعة في الإسلام إلا وله فيه رواية إما بعموم أو بخصوص"[4].

وقال عنه الأستاذ عنان: "هو المفكر الأندلسي العظيم، من أعظم أقطاب الرواية والتاريخ في ذلك الوقت"[5]، الكاتب، اللغوي، الفقيه، الشاعر، الأديب.

أما عن **مؤلفات ابن الابار**، فله مؤلفات كثيرة في التاريخ، والفقه، والحديث، وتراجم الأعلام وسيرهم، والأدب، واللغة، وما وصل إلينا يدل على غزارة علمه وكثرة مؤلفاته، وسعة ثقافته، ومن هذه المؤلفات: التكملة لكتاب الصلة، وإعتاب الكتاب، ومعجم أصحاب أبي علي الصدفي، والحلة السيراء في أشعار الأمراء، ودرر السمط في أخبار السبط، وتحفة القادم ... وغيرها مما ورد في مقدمة ديوانه.

عمله: كان ابن الأبار يَعملُ كاتبا لأبي عبد الله محمد بن حفص الموحدي والي بلنسية سنة 625هـ ، ثم لابنه السيد أبي زيد في العام التالي وهو العام الذي التجأ فيه مع أبي زيد إلى النصارى، وكان يرى شاعرنا أن النصارى يضربون المسلمين ببعض في الأندلس، ويبدو أنه لم يمكث عندهم كثيرا إذ ذهب بعضَ أشهرٍ قليلةٍ إلى وادي آش في شوال من نفس السنة 626هـ.

ولما حاصرَ (دون جامقةُ) صاحب بَرْجَلونة (برشلونة) مدينة بَلنسية (في رمضان سنة 635هـ) ذهب ابن الابار في وفد إلى سلطان تونس أبي زكرياء يحي للاستنجاد به على الفِرنجة. وأنشده ابن الابار سينيته المشهورة (أدرك بخيلك خيل الله أندلسا)، وهنا أدرك السلطان خطورة الأمر على بلاد المسلمين والمغرب العربي آنذاك، فأرسل أبو زكرياء يحي أسطولا لنجدة بلنسية، ولكن الأسطول وصل بعد فوات الأوان، فقد استولى الفرنجة على بلنسية (في صفر سنة 636هـ).

وبعدما وجد ابن الأبار هذا الاستقبال الحافل من قبل سلطان تونس، انتقل بأسرته إلى تونس واستقر بها، وهنا تقلبت الأحوال بابن الأبار الذي كتب للسلطان أبي زكرياء، ثم وزر للمستنصر، وكانت في هذه الفترة نهاية ابن الابار؛

(1) – راجع حول مكانته العلمية والأدبية وعصره: تاريخ ابن خلدون 418/6، وأزهار الرياض 205/3–207، وسير أعلام النبلاء 337/23، وتاريخ الأدب العربي: عمر فروخ، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الأولى 1983م، 210211/6.

(2) – نفح الطيب 591/2.

(3) – الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة: ابن عبد الملك المراكشي 258/6.

(4) – عنوان الدراية: 259 .

(5) – دولة الإسلام في الأندلس (عصر المرابطين والموحدين): محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط2، 1990م، 705/2.

ISSN: 2462-2508

حيث كان المستنصر يرضى عنه مرارا، ويغضب عليه أخرى حتى أمر بقتله في العشرين من المحرم من سنة 658 هـ.

شهد عصر ابن الأبار – في القرن السابع الهجري – ضعف الأندلس في الداخل وعدم قدرة أهله على الصمود في وجه الزحف النصراني؛ وذلك نتيجة النزاعات والخلافات السياسية على الحكم بين الموحدين أنفسهم، "وكانت لهذه النزعات آثار وخيمة على الدولة ومصيرها، فقد أصبح من المعتاد أن يكون على رأس الدولة أكثر من خليفة؛ وذلك بعد وفاة يوسف المستنصر"[1]، فلجأ كل واحد منهم – للحفاظ على منصبه – بقبائل الموحدين والعرب وغير المسلمين من الأعداء، كل هذا أدى إلى ضعف وتدهور الدولة الموحدية في الأندلس، حيث تساقطت حصون الأندلس واحدة تلو الأخرى، ثم مدنه وعواصم أقاليمه إلا غرناطة؛ فقد استطاع بنو الأحمر الاحتفاظ بها حتى سقوط الأندلس كاملة في نهاية القرن التاسع الهجري (897هـ).

المبحث الأول: المنهج التاريخي والنقد الأدبي:

إذا كان النص الشعري عمل إبداعي متكامل يظهر حالة الشاعر النفسية والوجدانية...، فإن النقد التاريخي يتكئ – في نقده للشعر – على النص وصاحبه معاً، فالشاعر صورة صادقة لثقافة عصره ومجتمعه، "والثقافة إفراز للبيئة، والبيئة جزء من التاريخ، فإذاً النقد تأريخ للأديب من خلال بيئته"[2]، فالمنهج التاريخي يقوم "على الصلة الوثيقة بين الأدب والتاريخ، فأدب أمة من الأمم يعد تعبيراً صادقا عن حياتها السياسية والاجتماعية، ومصدراً مهذبا من مصادرها التاريخية، ذلك أن الأدب يلم بروح الحوادث والأطوار المتعاقبة فيصورها ثم يتأثر بها"[3]، فالحياة مندمجة في التاريخ، والحياة إبداع التاريخ، فإننا إذا جهلنا التاريخ فسوف نشوه معنى النصوص، والمنهج التاريخي لا يصحح الأخطاء المحتملة لقراءة عفوية فحسب، وهي خدمة تجريبية قليلة الأهمية، وإنما أيضا يرد إلى كل عمل الحياة واللون اللذين كان عليهما عند مولده[4].

ودراسة الشعر من منظور المنهج التاريخي ينفعنا في الدراسة الأدبية والنقدية، فكثيراً ما يصعب أو يستحيل فهم نص أدبي دون معرفة الشاعر وعصره وبيئته؛ " لأن معرفة التاريخ السياسي والاجتماعي لازمة لفهم الأدب وتفسيره، ولتعليل كثير من موضوعاته وأطواره والاتجاهات العامة التي يجري فيها الأدب ويسلكها الأدباء"[5]، كما أن هذه الدراسة توضح وجهات نظر الشاعر في نظمه واختياره هذا الموضوع خاصة، فهي ثمرة نتاجه وما يتصل بالعصر الذي يتواجد فيه من مقاييس نقدية وخلقية.

من هنا يتضح أن المنهج التاريخي يُعنى بدراسة الأديب، وعصره، والأحداث السياسية والاجتماعية، والثقافية، والدينية التي مر بها هذا العصر، أي أن هذا المنهج

(1) – دراسات في تاريخ المغرب الإسلامي: د/ عز الدين عمر أحمد موسى، دار الشروق، القاهرة، الطبعة الأولى 1983م، ص 83.

(2) – مناهج النقد الأدبي: يوسف وغليسي، جسور للنشر والتوزيع، الجزائر، 2007م، ص 15.

(3) – أصول النقد الأدبي: أحمد الشايب، مكتبة نهضة مصر، القاهرة 1994م، ص: 93-94.

(4) – مناهج النقد الأدبي: إنريكِ أندرسون إمبِرت، ترجمة: د/ الطاهر أحمد مكي، مكتبة الآداب، القاهرة 1991م، ص: 116.

(5) – أصول النقد الأدبي، ص: 95.

ISSN: 2462-2508

يهتم – في دراسته – بحياة الشاعر، وسيرته، والظروف المحيطة به.

المبحث الثاني: ابن الأبار البلنسي بين الشعر والتاريخ:

من خلال قراءة ديوان ابن الأبار نجد أنه يوثق وقائع تاريخية مهمة في عصره، ويرصد كثيرا من الحقائق التاريخية والاجتماعية والثقافية التي أثرت في سير حياته، " فهو ثمرة من ثمرات عصره، وقد عمل في إنضاجها الزمان والمكان، والحالة السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية"[1].

إذا بدأنا الحديث عن خروج ابن الأبار إلى بلاد الروم مع سيده من خلال شعر ابن الأبار، فإننا نلاحظ أنه قد وثق رحلته إلى بلاد النصارى مع سيده أبي زيد حاكم بلنسية في سنة 626هـ، محاولا تبرير ما فعل، والتخفيف من جسامة ذلك الخطأ الذي ارتكبه في حق نفسه ووطنه، فيقول[2]:

قـالوا الخُروج لأرْضِ الرُّوم منقصَـــةٌ
فـقـلـتُ: كَـلا ولـكـن صـــادُهـا باءُ
إذَا خَـرَجْـتُ وَفَـاءً ثم عُـدْتُ تُـقـى
أثْـنَـتْ بِـفِـعـلـي عُـداتي والأحِـبّـاءُ

ويصور ابن الأبار موقفه هذا بموقف عثمان بن عفان –رضي الله عنه– عندما لجأ إلى النجاشي في الهجرة الأولى للمسلمين، فيقول:

وكـان لي في قُـريْـشٍ أسْـــوَةٌ وكـفـى
مع النّجـاشـــيّ تَـرْضـــاهـا الألِبّـاءُ

ولكن موقف ابن الأبار يختلف عن موقف عثمان بن عفان –رضي الله عنه–؛ فعثمان ابن عفان –رضي الله عنه– هاجر بأمر من النبي –صلى الله عليه وسلم– هو وأهله من مكة إلى الحبشة عند ملك نصراني يقيم العدل بين الناس، بينما ابن الأبار ذهب عند ملك طاغية يسارع في الوقيعة بين المسلمين بعضهم ببعض.

ويعلق الأستاذ عبد السلام الهراس على الأبيات السابقة ويتساءل: "لمن كان هذا الوفاء؟ لقضية بلده أم لأميره المرتبط به ببيعة لا يستطيع الفكاك منها من دون مسوّغ، حتى إذا ما أصر صاحبه على البقاء في بلاد النصارى فالعودة إلى بلاد الإسلام واجبة؟" [3].

ويتذكر ابن الأبار بلنسية وأهله ويخاطب بعض أصحابه عند خروجه منها[4]، وذلك عند التجائه هو وسيده أبو زيد إلى النصارى في بلاد الروم سنة 626هـ، فيقول[5]:

الحـمـد للهِ لا أهْـلٌ وَلا وَلَـدُ
وَلا قَـرَارٌ ولا صَـــبْرٌ ولا جَـلَـدُ
كـانَ الزَّمـانُ لَنَـا سِـــلْـمـاً إلى أمَـدٍ
فَـعَـادَ حَرْباً لَنَـا لمّـا انْقَضَـــى الأمَـدُ

(1) – تجديد ذكرى أبي العلاء: د/ طه حسين، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة 2014م، ص 18.

(2) – القصيدة من بحر البسط، في الديوان: 56.

(3) – ابن الأبار البلنسي – الشاعر الوفي لوطنه: عبد السلام الهرّاس، مجلة الفيصل، العدد 278، نوفمبر – ديسمبر 1999م، ص: 74.

(4) – ورد في كتاب زواهر الفكر، ورقة 87 (المخطوط بمكتبة الأسكوريال رقم: 520): " وله – دامت عزته – يخاطب بعض أصحابه ببلنسية عند خروجه منها مع أبي زيد ...). ثم أورد البيتين (الحمد لله ...).

(5) – البيتان من بحر البسيط، في الديوان: 189.

ISSN: 2462-2508

وبالرغم من ترحيب الأرغونيون له وبسيده، قرر ابن الأبار العودة إلى الأندلس، متشوقا إليها وإلى بلنسية موطنه، ولذا نراه يقول في قصيدة امتدح بها أبا الحسين يحي الخزرجي حاكم شاطبة، عند التجائه إليه بعد تركه سيده عند الأرغونيين[1]:

وَكَـفـاكَ أنَّ الـرّومَ كـانَـتْ جِـيرَتي
مِـنْ جَـوْرِ دهْـرِي واسْـتِـحـالَـةِ حـالِي
كُـنْـتُ الـطَّـلِـيـقَ هُـنَـاكَ لَـكِـنْ لَمْ أزَلْ
مِـن شِـدَّةِ الحَسَـرَاتِ في أَغْـلالِ
أَبْكِي عَلى اسْـتِئْصـالِ مَنْ خَلَّفْتُـهُ
وأُطِـيـلُ فِي الأسْـحَـارِ والآصَـالِ
حَـتَّى إذَا فَـارَقْـتُ أرْضَـهُـمُ الـتِي
كـانَـتْ عِـقـالاً ثانِـيـاً لِـعِـقَـالِي
وَدَعَـانِيَ الشَّـوْقُ المُـذِيـبُ جَـوانِحِـي
لِـمَـنـازِلي فَـأَجَـبْـتُـهُ وَجِـلالي

ويعد شعر ابن الأبار سجلا حافلا مليئا بأحداث كثيرة وقعت في الأندلس، وكان من بينها استنجاد أهل بلنسية بأبي زكرياء يحي بن عبد الواحد بن أبي حفص أمير إفريقية (تونس) لإنقاذ بلنسية والأندلس، وهذه قصيدة ابن الأبار التي يستنهض فيها همته لنصرة الأندلس؛ وذلك بعد ضياع بلنسية[2] سنة 636هـ وسقوطها في أيدي النصارى؛ حيث كان الرئيس أبو جميل زيان بن سعد بن مردنيش أميرا لبلنسية في ذلك الوقت قد استمر على إمارتها حتى حاصرها الملك خايمي الأول سنة 635هـ، وقد أوفد عندئذ كاتبه الشهير أبا عبد الله ابن الابار القضاعي إلى صاحب تونس الأمير أبي زكرياء يحي الحفصي يستنجد به ويطلب عونه. وفي يوم الثلاثاء نهاية شهر رجب من هذا العام أنشد ابن الأبار أمير تونس سينيته المشهورة التي مطلعها[3]:

أَدْرِكْ بِخَـيْـلِـكَ خَـيْـلِ اللهِ أنـدلسَـا
إنّ السَّـبِـيـلَ إلى مَـنْـجـاتِهـا دَرَسَـا
وَهَبْ لهَا مِنْ عَزيزِ النَّصْـرِ مَا الْتَمَسَـتْ
فَلَمْ يَزَلْ مِنْـك عزُّ النَّصْـر مُلْتَمسـا

وتأتي حُجة ابن الأبار في الإسراع والإقدام على استنجاد بلنسية في أن أهلها أصبحوا جزَرا للسباع، ثم يعرض ما في بلنسية وقرطبة من المصائب فقد استُبدلت فيها شعائر المسلمين بشعائر المسيحين، وأحالت جدهم تعاسة، وتقاسم الروم عقائلها، فيقول:

يَا لـلـجَـزيـرَةِ أَضْـحَـى أَهـلُـهـا جَـزَراً
لِلحَـادِثَاتِ وأَمْسَـى جَـدُّهَـا تَعِسَـا
تَـقَـاسَـمَ الـرومُ لا نَالَـتْ مَـقَـاسِمُـهُـم
إلا عَـقَـائِـلَـهـا المَـحْـجـوبَـةَ الأُنُسَـا
وَفِي بَـلَـنْـسِـيـةٍ مِـنْـهـا وَقُـرْطُـبَـةٍ
ما يَنْسِـفُ النَّفسَ أَو ما يَنزِفُ النَّفَسَـا
مَـدائِنٌ حَلَّهـا الإشْـرَاكُ مُبْتَسِـمـاً
جَـذْلانَ وارتَحَـلَ الإيمـانُ مُـبْـتَـئِسـا
يَا لِلْمَسـاجِـدِ عَـادَتْ لِلعِـدَى بِيَعـاً
ولِـلـنِّـداءِ غَـدَا أَثْـنـاءَهـا جَـرَسـا
مَحَـا مَحَـاسِـنَـهـا طـاغٍ أُتِـيـحَ لَهـا
مَـا نامَ عَن هَضْـمِهَـا حِيناً وَلا نَعَسـا

(1) – القصيدة من بحر الكامل، في الديوان: 263.

(2) – راجع حول بلنسية وتاريخ سقوطها: الروض المعطار في خبر الاقطار: محمد بن عبد المنعم الحميري، تحقيق: د/ إحسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت، ط2، 1984م، ص 97 وما بعدها، والإحاطة في أخبار غرناطة 175/1، والمقتضب من كتاب تحفة القادم: ابن الابار البلنسي، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري بالقاهرة، ودار الكتاب اللبناني ببيروت، ط2، 1982، ص 18، والبيان المغرب 348/3-349.

(3) – القصيدة من بحر البسيط، وهي في ديوانه: 408-412.

ISSN: 2462-2508

ويبرر ما يذهب إليه من أنه يستنجد برجل عظيم شجاع مِقدام، صاحب إرادة شديدة، وأنه يحيي دعوة المهدي التي لم تطمس، فهو كالسيف والسحابة:

صِـــلْ حَبْلَها أَيُّها المَوْلَى الرَّحيمُ فَما
أَبقَى المِراسُ لَهـا حَبْلاً وَلا مَرَســـا
وَأَحْى مَا طَمَســـتْ مِنْهُ العُداةُ كَمَا
أَحيَيْتَ مِن دَعوَةِ المَهْدِيّ ما طُمِســـا
أَيَّامَ سِـــرْتَ لِنَصْـــرِ الحَقّ مُسْـــتَبِقاً
وَبـتَّ مِن نُورِ ذاكَ الهَـدْيِ مُقْتَبِســـا
وَقُمـتَ فيهـا بِأَمْرِ اللَّهِ مُنتَصِـــراً
كَالصَّـــارِمِ اهتَزَّ أَو كالعارِضِ انبَجَســا

ثم يصف ممدوحه بأنه السند والدعامة التي تقوم عليه تونس، وتسترد بها بلنسية:

مَلْـكٌ تَقَلَّـدتِ الأَمْلاكُ طَـاعَتَـه
دِيناً ودُنْيا فَغَشَّـــاها الرِّضَـــى لِبَسَـــا
مِنْ كُـلّ غَـادٍ عَلَى يُمنَـاه مُســـتَلِماً
وَكُـلّ صَـــادٍ إِلَى نُعْمَـاهُ مُلْتَمســـا
مُـؤَيَّـدٌ لَـو رَمَـى نَجْـمـاً لأَثْـبَـتَـهُ
وَلَوْ دَعَـا أُفُقـاً لَبَّى وَمـا احتَبَســـا

ثم يسترسل شاعرنا في وصف ممدوحه، وأن من يجتمع فيه كل هذه الصفات له القدرة على نجدة بلنسية والأندلس من بطش هؤلاء الأعداء:

يَا أَيُّهـا المَلِـكُ المَنْصُـــورُ أَنْـتَ لَهَـا
عَلَيَـاءُ تُوسِـــعُ أَعْـداءَ الهُـدَى تَعَســـا
وقَـدْ تَـواتَـرتِ الأَنْـبَـاء أَنَّـكَ مَـنْ
يُحْيِي بِقَتْـلِ مُلوك الصُّـــفْرِ أَنْـدَلُســـا
طَـهِّـرْ بِـلادَك مِـنْـهُـم إِنَّهُـم نَجَـسٌ
وَلا طَهَـارَةَ مـا لَمْ تَغْسِـــلِ النَّجَســـا
فَـامْلأْ هَنِيئـاً لَـكَ التَّمْكِينُ سَـــاحَتهـا
جُرْداً سَـــلاهِـبَ أَوْ خَطِّيَّـةً دُعُســـا
واضْـــرِب لهَـا مَوْعِـداً بِالفَتْحِ تَرْقُبُـهُ
لَعَـلَّ يوْمَ الأَعـادِي قَـدْ أَتَى وعَسَـــى

فالقصيدة في مجملها تعبر عن عاطفة صادقة، وشعور إنساني نبيل من قبل رجل يحب وطنه، ويضحي بكل ثمين من أجل إنقاذه من الضياع، فنلاحظ أن التواصل التفاعلي في القصيدة يكمن في استخدام ابن الأبار العبارات الصادقة، والصور البلاغية المعبرة عن الحادثة الأليمة، والألفاظ والعبارات الموحية بخطورة الموقف. وقد علق عليها (دي شاك) على هذه القصيدة بقوله: " إنها لا تعوزها القوة ولا الحماس ولا التألق ولا البلاغة المتقدة "[1].

وتُصور القصيدة النصارى بقسوة قلوبهم، وأنهم لم يغفروا للأطفال، أو حتى النساء، أو الجرحى، أو الشيوخ، بل قتلوا وشردوا وذبحوا الجميع. وقد شهد بعض النقاد والمؤرخين في أوربا على هذه الجرائم الإنسانية وبشاعتها، والتي وقعت في إسبانيا منذ العهد الإسلامي في بلنسية (سنة 636هـ / 1238م)، فالتاريخ الإسباني القديم يؤكد إنسانية المسلمين في حروبهم، وأن المسيحيين لم يغفروا للمسلمين، يقول (دي شاك): " إن المغاربة كانوا أكثر إنسانية منا في الحرب، وأكثر سلمية في كل شيء "، ويقول (دوزي):" إن المسيحيين لم

(1) - POESÍA Y ARTE DE LOS ÁRABES EN ESPAÑA Y SICILIA, POR ADOLFO FEDERICO DE SCHACK. TRADUCIDO DEL ALEMAN POR DON JUAN VALERA, de la Real Academia espafiola, MADRID, IMPRENTA Y ESTEREOTIPIA, 1867, P: 153.

ISSN: 2462-2508

يغفروا، عادة في الحرب، للأطفال أو النساء، وأن المغاربة يغفرون"[1].

وفي رابع المحرم عام 636هـ بايع أهل بلنسية أبا زكرياء[2]، لذا فقد استجاب أبو زكرياء للنداء، " وهزت هذه القصيدة من الملك عِطْفَ ارتياح، وحرّكت من جَناحه أخفض جَناح"[3]، فبعث طائفة من السفن تحمل الأموال والمؤن إلى مياه بلنسية، ولكنها أخفقت في الاتصال بأهل المدينة. وسقطت بلنسية في يد النصارى في العام التالي يوم الثلاثاء السابع عشر لصفر سنة 636هـ (1238م). ولأهمية هذه القصيدة، وشغف سلطان تونس بها "فأمر شعراء حضرته بمجاوبتها، فجاوبها غير واحد"[4].

ويقول في قصيدة أخرى ألقاها بين يدي سلطان تونس، والتي يبدأها بالاستصراخ والاستنجاد به؛ لإنقاذ بلنسية والأندلس من النصارى[5]:

نَادَتْكَ أنْدَلُسٌ فَلَبِّ نِداءَها
واجْعل طَواغيتَ الصّليبِ فِداءَها
صَرَخَتْ بِدَعوَتك العليّة فاحْبُها
من عاطِفاتك ما يقي حوْباءَها
واشْدُدْ بِجلبك جُرْد خَيلك أزْرَها
تَرْدُدْ على أعْقَابِها أرْزَاءها
هيَ دَارُك القُصوى أوَتْ لإيالَةٍ
ضَمِنْتَ لها معَ نصْرِها إيواءَها
وبَها عَبيدُك لا بَقاءَ لَهُم سوى
سُبُل الضّراعة يَسْلُكون سَواءَها

نرى ابن الأبار في الأبيات يجسد الأندلس في صورة شخص يستنجد بأبي زكرياء بن أبي حفص طلبا لإنقاذ بلدان ومدن الأندلس من الضياع؛ كما يذكر ابن الأبار في القصيدة أن الأندلس –في ذلك الوقت–كانت تابعة للدولة الحفصية بتونس.

ثم يسترسل الحديث عن الأندلس، ويستعجل أبا زكرياء بالفتح قبل ضياعها كاملة، فيقول:

تِلك الجَزيرَةُ لا بقاء لها إذا
لَمْ يَضْمن الفَتْحُ القريب بَقاءَها
رِشْ أيها المولى الرّحيمُ جناحَها
واعْقُدْ بِأرْشية النّجاة رِشاءَها
طَافَتْ بِطَائفَة الهُدى آمالُهَا
تَرْجو بِيَحيى المُرْتضى إحْياءَها

ثم يمضي شاعرنا في حديثه، ويتساءل بلنسية في ذكراها: ما الذي يُراق لذكراك ؟ أهي الدموع من العين أم الدماء ؟ كيف السبيل إلى أخذ تلك الآثار الباقية باندلاع الحروب هناك:

إيهٍ بَلَنْسيَةٌ، وفي ذكرَاكِ ما
يَمري الشؤون دِماءَها لا ماءَها
كيف السّبيلُ إلى احتِلالِ معاهدٍ
شبّ الأعاجم دُونها هيْجاءَها

ويعود مرة أخرى لأبي زكرياء، بعد سرد الأهوال والأحداث الجسام التي وقعت في بلنسية، ويذكره ببلنسية وما

(1) - POESÍA Y ARTE DE LOS ÁRABES EN ESPAÑA Y SICILIA, P: 157.

(2) – تاريخ الدولتين (الموحدية والحفصية) للزركشي: 27.

(3) – نفح الطيب 460/4.

(4) – نفح الطيب 460/4.

(5) – القصيدة من بحر الكامل، وهي في ديوانه: 35–41.

ISSN: 2462-2508

آل بها من هذه المصائب التي أصابت الجميع، ثم يحثه على فتح بلنسية واسترجاعها من أيدي الظالمين:

وكفى أســـى أنّ الفواجعَ جمّة
فَمتى يُقاوم أسْـوُها أسْـوَاءَها
هَيهات في نَظَر الإمارَة كفُّ ما
تخْشـاه، ليْت الشُّـكرَ كان كِفاءَها
مَولاي هَاكَ معادةً أنْباءَها
لِتُنيلَ منْك سعادةً أبْناءَها
جَرّدْ ظُباك لمحو آثار العدى
تَقْتلْ ضَراغِمَها وتسْب ظِباءَها

إنها بشرى للأندلس عندما تسعد بلقاء ملك تونس، وهو يحب لقاء الأندلس:

بُشْرى لأَنْدلُس تُحبُّ لقَاءه
ويُحِبّ في ذات الإلَه لِقاءَهَا

وهو الملك الذي يفيض بنوره على الأندلس، كما أنه خضعت لعزته جبابرة الملوك، فهو حامي الحمى، ومن يسترد بلنسية غيره؟

مَلِكٌ أمَدَّ النَيَّرات بِنُوره
وأفادها لألاؤُه لألاءَها
خَضَعَتْ جَبَابِرة المُلوك لِعزه
ونَضَتْ بِكَفّ صغارها خُيَلاءها
أبقى أبُو حَفْص إمَارَتَه له
فَسَمَا إلَيها حامِلاً أعْبَاءهَا
سَلْ دَعْوَةَ المَهْديّ عن آثاره
تُنْبِئْك أنّ ظُباه قُمْنَ إزَاءَها
فَغَزا عِداها واسْتَرَقَ رقَابَها
وحَمَى حِمَاها واسْتَرَدّ بَهَاءَها

ويصف ابن الأبار – وهو في تونس – ممدوحه الذي جهز جيشا عظيما لإنجاد الأندلس، وإسراعه وعزمه وتوكله وإقدامه على إنقاذ بلنسية من أيدي النصارى، فيقول[1]:

ظَهيراك التوكُّل والمَضاءُ
فَعُمْرُ الكُفْر آن له انْقِضاءُ
يدُ الإيمَانِ عَالِيَة عليه
كما يَعْلو على الظُّلَم الضّياءُ
وبيضُ الهِنْد ظَامِئَةٌ إليه
ومِن دَمِه يسوغ لها ارْتِواءُ
أعُبَّاد المَسيح دنا رَدَاكُمْ
وأَخْرَسَ نَأْمَةَ الجَرَس النِّداءُ

وبعد سرد صفات الممدوح " وأن قوامها الهدى والنور والإيمان، وكشف الغمّ والهمّ، وعند مزجها تعطينا الصورة المرتقبة من السلطان، استجابة لما ينتظره الشاعر"[2]، فيقول:

هُو الهادي إلى الخَيْرات يُهْدَى
له المَدْحُ المُحَبّر والثّنَاءُ
وهَلْ تُعْيى مُعَالجَةٌ لخطب
وما تُمْضى إرادَتُه شِفاءُ
هَنِيئاً عامُ إقْبال جديدٌ
بِيُمْن طُلوعِه عَمّ الهَناءُ

إنه يوم حصاد الأعداء، وهو دَيْنٌ على أبي حفص وجيشه، وهذا الجيش هو جيش خيول من الأسطول سريع الاستجابة والاستغاثة:

(1) – القصيدة من بحر الوافر، في الديوان: 47-49.

(2) – شعر الاستصراخ في الأندلس: جمع وإعداد عزوز زرقان، دار الكتب العلمية، بيروت، ص: 121.

ISSN: 2462-2508

حِصـــادُكُمُ على الأسْـــياف دَيْنٌ
ومِنْ تلـك الأُكِف لَـهُ اقْتضـــاءُ
ســـتَصْـــدِمكُم وَتصْـــمِدُكُم خُيولٌ
مِنَ الأســـطُول ضَـــمَّرهـا الجِراء
كـأمـثـال المَـذَاكـى ســـابحـاتٍ
لهـا عَـدْوٌ لِـمَـنْ فـيـه اعـتِـداءُ

إنه إعدادٌ تام لغزو النصارى، فها هو الأسطول البحري الحفصي يتجه إلى بلنسية، هذا الوطن الحبيب لابن الأبار، وإن كتائب الحفصيين كبيرة العدد، كثيرة العتاد، إذا نزلت بساحة الأعداء أطاحت بكبيرهم وصغيرهم، فللتثليث ضعف وضياع أمام التوحيد الذي له قوة واعتلاء:

وإعـدادٌ لِـغَـزْو الشّـــرْك تَـزْكـو
بِـنِـيّـتـه المَـثُـوبَـةُ والجَـزاءُ
جَـوار مُـنْشَـــآتٌ في تَـبَـار
إلى الـفَـوْز الـعـظـيـم بـمـا تشـــاء
وجُـــرْدٌ مُـــقْـــرَبَاتٌ أيّـــدَتْهـا
على مَنْ غُلْتَ في الأرض الســـماء
تـدمّـرهـم ريـاحـاً لـيـس مـنـهـا
وقـد هـبّـت بإعصـــافٍ رُخـاء
كَـتـائـبُ لا يُحـيـط بهـا كِـتـابٌ
يضـــيق برَحْبـه عنهـا الفَضـــاء
إذا نَزَلـتْ بســـاحـات الأعـادي
صَـــبـاحـاً لم يُـلَبّثهـا الضُّـــحـاء
فَـلِـلـتّـثْـلـيـث وهْـنٌ واتّضـــاعٌ
ولـلـتـوحـيـد أيـدٌ وارتـقـاء

وكان سقوط بلنسية – موطن ابن الأبار– قد ترك أثرا عميقا في نفسيته وحياته، مما جعله يتذكر بلنسية ومياهها العذبة، وجمال طبيعتها، وأنسه بها وبأهله وأصدقائه، إذ صارت في أيدي الأعداء بالية خالية من مظاهر الجمال، فقد حان الآن أن نندبها ونبكي عليها[1]:

بَلَنْسِـيَّـةٌ يَا عَـذْبَـةَ المَـاءِ والجَنَى
سُقيتِ وإنْ أشْقَيْتِ صوْبَ الرَّواجِس
أُحِبُّ وأَقْلَى مِنْكَ حَالاً ومَاضِـياً
بِمُوحِشَـــةٍ ألوت بعَهـدِ الأَوَانِس
ومِـنْ عَـجَـبٍ أَنَّ الـدِّيار أَوَاهِـلٌ
وأنْـدُبُهـا نَـدْبَ الطُلولِ الـدَّوارس

ونرى شوقه وحنينه إلى بلنسية وأصدقائه يتكرر في قصائد كثيرة من الديوان كمثل ذكريات وحنين إلى بلنسية في القصائد رقم: (13، 28، 78، 89، 91، 102، 149، 153، 188، 188).

ونرى أن ابن الأبار لم يترك بلنسية – وطنه – عند التجائه إلى النصارى لغرض أن يحتمي بهم فقط، فربما لطرده مع سيده من بلنسية، ولذلك يقول في مأساته وبكائه على وطنه[2]:

لاَمَ المُـحِـبُّـونَ الـفِـرَاقَ ولُـمْـتُـه
لَكِنُّـهُـمْ سَـــئِـمُوا ولَـمَّـا أَسْـــأَمِ
ظَعَنُوا وهُمْ قَـدْ وَدَّعُوا أوْ سَـــلَّمُوا
وظَـعَـنْـتُ غَـيْرَ مُـوَدِّعٍ ومُسَـــلِّـم
فَـعَـلَـيَّ فَـلْـتبـكِ الـبَـوَاكِـى إنَّـنِي
أُخْرِجْـتُ مِنْ وَطَنِي ولَسْـــتُ بِمُجْرِم
وأُضِـــعْتُ يَوْمَ وُضِـــعْتُ في أرْض بِهَا
يَغْـدُو الْفَصـــيحُ مُعَظِّمـاً للأَعْجَم
لا أسْـــتَرِيحُ بِـغَـيْرِ لَـيْـل أَلْـيَـل
أشْـــكُـو تَـطَـاوُلَـه ويَـوْمٍ أيْـوَم

(1) – القصيدة من بحر الطويل، وهي في ديوانه: 413.

(2) – القصيدة من بحر الكامل، وهي في ديوانه: 307.

ISSN: 2462-2508

لذا يقول في قصيدة أخرى يبكي وطنه[1]:

وَطِّنْ على الدَّائِبَيْن: الدّمْع والشَّـــجَن
يَا نادِبَ الـذّاهِبَيْن: الأَهْـل والوَطَن
واسْــكُنْ إلى الصَّــبْرِ في إلْمَامِها نُوَبا
أوْدَتْ عَلَى عَقِبِ المَسْكُونَ بالسَّكَن
كَزَعْزَع الرّيح صَـكَّ الدَّوْحَ عَاصِـفُها
فَلَمْ يَـدَعْ مِنْ جَنًى فِيـهِ وَلاَ غُصُـــن

ويذكر في القصيدة نفسِها أنّ الروم هم السبب في إخراجه من بلنسية ومن القصر بالباطل:

هُمْ أخْرَجُوَنا مِنَ الأَوْطـانِ عَنْ حَنَق
وزَحْزَحُونا عن الجِيرانِ من ضَـــغَن
فَكَمْ لَقِينَا على الأَمْصَـــار من فَنَدٍ
وَكَمْ تَرَكْنـا لَـدَى الكُفَّـار مِنْ فَـدَنِ
واهـاً وآهـاً يموت الصَّـــبْر بَيْنَهمـا
مَوْتَ المَحَـامِـدِ بين البُخْـل والجُبُنِ
أتِيـحَ لـلـرُّوم مَـا وفَّى مَـرامِيَـهُـمْ
فِيـهـا وبُـؤْنَا بِـطُولِ الـغَبْنِ والـغَبَنِ

ويشير في شعره إلى بيعة بعض مدن المغرب والأندلس إلى أبي زكرياء في قصيدة مطلعها[2]:

حَفَّت بِحضْـــرَتِك الفُتوحُ جُيوشَـــا
تَسْـــبِي مُلُوكـاً أَوْ تَثُـلُّ عُرُوشـــا

ويكثر ابن الأبار في هذه القصيدة من وصف الممدوح بصفات مبالغ فيها، كحال غيره من بعض شعراء المديح في الأندلس والمشرق.

وإذا تتبعنا شعر ابن الأبار فنراه ينقل حادثة مقتل أبي عبد الرحمن يعقوب الهرغي وعصابته بطرابلس؛ وذلك عندما تمرد على أبي زكرياء الحفصي في شهر شوال سنة 639هـ، فيقول[3]:

وعِصَـــابَةٍ قَطَفَتْ رُؤُوسَـــهُمُ الظُّبى
قَـطْفَ البَـنَـان أزَاهِـرَ البُسْـــتَـانِ
غَـدَرُوا ومَـا شَـــعَرُوا بأَنَّ وَرَاءَهم
لِـلْـحَقّ أَنْصَـــاراً عَـلَـى البُـهْـتَـانِ
فَـانْـظُـرْ إلَىَ هَـامَـاتِهِـمْ مُسْـــوَدّةً
كَـالَّـلـيْـل غَـيْرَ بَـوَارِقِ الأَسْـــنَـانِ
لاَحَتْ مِنَ السُّـــور المُنِيف بِصَـــفْحَة
بَيْضَـــاءَ كَـالشَّـــامَـاتِ والخِيلاَنِ

وينقل ابن الأبار في تاريخه الشعري لهذه الحِقبة من الزمن إلى الأعياد والمناسبات التي كانت تقام آنذاك، فنراه يقول قصيدة بمناسبة العفو عنه في عيد الفطر عام 646هـ، والتي مطلعها[4]:

أمَّـا الكثيـبُ فَـمَـا يُطَـارُ حِمَـاهُ
مِـنْ دونِـهِ تُجْـري الـدِّمـاءَ دُمَـاهُ

ثم ينتقل بعد عدد من الأبيات في حسن تخلص رائع من الغزل إلى المدح:

وَاهـاً لـقَـلـبـكِ لا يَـرقُّ ورُبَّمـا
رقَّ الجَـمَـادُ بـفَـرْطِ مـا عـنَّـاهُ
هَـلاَّ تَـقَـيَّـلَـتِ الإمَـامَ المُـرتَضَـــى
فيـمَـا اســـتَرَقّ الخَـلْقَ مِـنْ رُحَمَـاه

(1) – القصيدة من بحر البسيط، وهي في ديوانه: 336-337.

(2) – القصيدة من بحر الكامل، وهي في ديوانه: 416-418.

(3) – القصيدة من بحر الكامل، وهي في ديوانه: 308، وراجع: رحلة التجاني: 270.

(4) – القصيدة من بحر الوافر، وهي في ديوانه: 420-422.

ISSN: 2462-2508

مَلِكٌ أَجارَ من الزَّمَان جِوارُهُ
وكفى البريّة جورَهُ وأذاه
قَعَدَ الهُدَى فأقَامَهُ بمَضَائِه
ومَضَى النَّدَى فأَعَادهُ بِلُهاهُ

كما أن هناك أعياد تأتي بعد فراق الأحبة، كما في قصيدته التي يرثي فيها أحد أعزائه فيقول[1]:

مَا العيدُ بعدَك بالأمانِي عَائِدُ
يَا غَائِباً وَكأنّما هُوَ شاهد
وافَى وألفتنا شَعَاعٌ فَالتقى
أملٌ ويأسٌ ذا لِذَلك طَارد
يَصفُ الضميرَ بظاهر مُتَجهّم
مِنْ وَجْده فكأنّه لَكَ فَاقِد
وَلَعَهْدُنَا بِضُحَاه يُونق رَأدُه
وكأنّما الدُّنيا رَدَاح نَاهِد

وربما كتب ابن الأبار هذه المرثية بعد خروجه من بلنسية، فنراه يقول في نهايتها:

مَا أبْينَ الضدّيْن في حالِي التى
حَالتْ أسًى باقٍ، وصَبْرٌ نافدُ
لم تضمن البقيا لأُنْسِي وَحشَتِي
فإذا الذي أهْوَى لأُنْسَى بائدُ

وفي قصيدة أخرى يرثي ابن الأبار أبا زكرياء ويهنئ المستنصر محمد بن يحي بن عبد الواحد ابن أبي حفص الهنتاني سنة 647هـ[2]، بالخلافة، يقول في أولها[3]:

بَيْنِي ثَلاثاً سَلْوَةَ الأيَّامِ
أوْدَى الحمامُ بِنَاصِر الإسْلاَمِ
وَدَعا دعَامَتَهُ إلى تَعْويضِها
تَأْسِيسُهُ بالتُّرْبِ دَارَ مُقَامِ
ودَهى الوَرَى مِنْ ثُكْل هَادِيهم بِما
أعْيَا عَلَى الأفْهامِ والأَوْهامِ
هذي الشُّجونُ الجُونُ قَدْ أخَذَتْ على
وَفْدِ العَزَاءِ مَطَالع الإلْمَامِ

وفي قصيدة أخرى يرثي فيها أستاذه أبا الربيع بن سالم الكلاعي وجماعة من العلماء في موقعة أنيشة[4]، وكانت في أواخر ذي الحجة 634هـ، وكان ابن الأبار بجوار أستاذه يحاول أن يسعفه، ولكن أمر الله نفذ، وصعدت روح الكلاعي، فحزن ابن الأبار على فراق أستاذه حزنا شديدا، وأنشد يقول[5]:

ألِمَّا بأشْلاَءَ العُلى والمَكَارِمِ
تُقَدُّ بأطْرَاف القَنَا والصّوَارِمِ
وعُوجا عَلَيها مأْرَباً وحفَاوَةً
مَصَارعَ غَصَّتْ بالطُّلى والجَماجم
نُحَيّي وُجُوهاً في الجِنَانِ وَجيهَةً
بِمَا لَقِيَتْ حُمْراً وُجُوهَ المَلاَحم
وأجْسَادَ إيمانٍ كَساها نَجيعُهَا
مَجاسِدَ منْ نَسْج الظُّبى واللَّهاذِم
مُكَرَّمَةٌ حَقَّ عَن الدّفْن في الثَّرى
وما يُكْرِمُ الرّحْمَنُ غَيْرَ الأَكَارِمِ
هُمُ القَوْمُ رَاحُوا للشَّهادة فاغْتَدَوا
وما لَهُم في فَوْزهم مِنْ مُقَاوِم

ثم يدعو للجميع، فيقول:

(1) – القصيدة من بحر الكامل، وهي في ديوانه: 145-146.
(2) – راجع حوله: الأعلام 138/7.
(3) – القصيدة من بحر الكامل، وهي في ديوانه: 275.
(4) – راجع حول (أنيشة) وهذه الوقعة في المقتضب من كتاب تحفة القادم: 191 ، والروض المعطار: 41، ونفح الطيب 473/4.
(5) – القصيدة من بحر الطويل، وهي في ديوانه: 288-294.

ISSN: 2462-2508

سَــقَى الله أَشْــلاءً بِسَــفْح أَنِيشَــةٍ
سَــوَافِحَ تُزْجِيهـا ثِقَـالُ الغَمـائِم
وصَــلَّى عَلَيها أنْفُســاً طَابَ ذِكْرُها
فَطَيَّـبَ أنْفَـاسَ الرّيَاح النَّواسِــم

وأخذ يتأسف على فراق أستاذه:

فَوا أسَــفَـا للـدِّين أعْضَــلَ دَاؤُهُ
وأَيْأَسَ مِنْ آس لِمَسْــرَاهُ حَـاسِــم
ويا أسَــفـا للْعِلْم أقْوَتْ رُبوعُـهُ
وأصْــبَحَ مَهْـدُود الـذُّرَى والـدَّعـائِم
قَضــى حَامِلُ الآثار مِنْ آلِ يَعْرِبٍ
وحامِي هُدى المُخْتارِ مِن آلِ هاشِــم

ويذكرنا في شعره بعفو السلطان أبي زكرياء الحفصي عندما استشفع ولي عهده محمد أواخر عام 646هـ وأوائل 647هـ، وكان السلطان قد شُفي من مرضه، وقد عَفى عنه السلطان ، فيقول في أولها[1]:

بُشْــرَاكَ نَصْــرُ الله مُـقْـتَـبـلُ
وَبَـراحَـتَـيْـكَ السَّــهْـلُ وَالْجَـبَـلُ
ولَـكَ السَّــعَـادَةُ جَيْشُــهَـا لَجِـبٌ
كالسَّــيْل ضَــاقَ بِمَـدِّهِ السّــبُلُ

ويقول في شفاء السلطان من مرضه:

لَم تَشْــكُ لِلرُّحُـل الطِّوَالِ أذًى
حـتَّى شَــكَـتْـكَ الخَـيْـلُ وَالإبِـلُ
وَلَئِنْ عَـلَتْـكَ من الضَّــنَى سِمَـةٌ
فَـالمَشْــرَفِيُّ يَـزيـنُـهُ الـفَـلَـلُ
بِشِــفَـائِـكَ المَيْـمُـونِ مَـطْـلَـعُـهُ
نَكَصَــتْ عَلى أعْقَـابِهَـا العِلَـلُ
وَانْهَـلَّـتْ الأنْـوَاءُ مــنَ طَـرَبٍ
فَـتَسَــاوَقَ الإبْـلاَلُ وَالْـبَـلَـلُ

الخاتمة

توصل الباحث في ختام البحث إلى عدد من النقاط؛ أهمها:

1- شهد عصر ابن الأبار – في القرن السابع الهجري – ضعف الأندلس في الداخل وعدم قدرة أهله على الصمود في وجه الزحف النصراني؛ وذلك نتيجة النزاعات والخلافات السياسية على الحكم بين الموحدين أنفسهم.

2- " الشعر ديوان العرب " حقا إنها مقولة صادقة، فقد كان العربيُّ وما زال يؤرخ لحياته وحياة العظماء والحروب التي كانت تقع في عصره من خلال شعره، ويعتبر شعر ابن الأبار وثيقة تاريخية مهمة في عصره، فقد ذكر بعض الحوادث التي جرت على عصره؛ وخاصة سقوط بلنسية، كما وصف الأسطول البحري الذي أرسله سلطان تونس الحفصي لإنقاذ الأندلس، ولكن هذا الأسطول أخفق وعاد؛ فقد وصل متأخرا بعدما تأزمت الأمور في بلنسية والأندلس.

3- عرض ابن الأبار السبب الذي جعله هو وسيده يخرجان إلى أرض الروم ويستنجدان بهم، وأن النصارى هم السبب في إخراجهم من بلدهم. .... ولكنه عندما علم أن الروم

(1) – القصيدة من بحر الكامل، في الديوان: 254-256. وله قصائد أخرى يستشفع فيها بوليّ العهد محمد وهو ببجاية مغضوبا عليه. راجع الديوان رقم: 118، 119، 164.

ISSN: 2462-2508

أرادوا أن يوقعوا بين المسلمين، ويضربوهم ببعض، عاد إلى الأندلس وترك سيده هناك من نفس العام.

4- كان لسقوط بلنسية أثر كبير في نفس ابن الأبار، فقد أثر هذا الأمر على منصبه، وحياته حتى أصبحت حياته مضطربة وغير مستقرة، إلا أن وصل إلى تونس ورحب به سلطانها أبو زكرياء الحفصي وعينه كاتبا له، ولكن هذا المنصب أضر بأناس آخرين؛ فقد لجأ هؤلاء إلى الوقيعة بين ابن الأبار والسلطان، وتشويه صورته أمام أبي زكرياء، وبالفعل طرد ابن الأبار وغضب السلطان عليه، ولكن ابن الأبار في منفاه استنجد بولي العهد لطلب السماح والعفو عنه من السلطان، وقد عفى السلطان عنه. ولكن بعد وفاة السلطان الحفصي وتقليد الحكم للمستنصر، غضب هذا الأخير على ابن الأبار غضبا شديا وصل التخلص من ابن الأبار، فامر المستنصر بقتله في تونس.

5- يرى المستشرقون الأوربيون أن العرب في إسبانيا كانوا أكثر إنسانية من النصارى في الحروب، وأكثر سلمية في كل شيء.

6- عرض ابن الأبار في شعره بعض المبايعات التي تمت من الأندلسيين والمغاربة إلى أبي زكرياء الحفصي ملك تونس، كما تحدث عن بعض الحوادث التي وقعت في عصره كمقتل أبي عبد الرحمن يعقوب الهرغي وعصابته بطرابلس؛ وذلك عندما تمرد على أبي زكرياء الحفصي في شهر شوال سنة 639هـ. كما وصف موقعة أنيشة؛ والتي قتل فيها أستاذه الكلاعي، وهذه المعركة خير دليل على ما ذهب إليه بعض المستشرقين في عدم إنسانية النصارى في الحروب مع المسلمين من قتل الشيوخ، والصغار، والنساء، على العكس من المسلمين في فتوحاتهم ومعاركهم الحربية فقد أمرهم الرسول – صلى الله عليه وسلم – بعدم قتل أو محاربة الشيوخ، والأطفال، والنساء، والأسرى، وإنما يكرموا.

المصادر والمراجع

أولا: المصادر:

1. الإحاطة فى أخبار غَرناطة: لسان الدين بن الخطيب، تحقيق: محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجى، القاهرة، ط1، 1974م.
2. أزهار الرياض فى أخبار عياض: المقرى التلمسانى، تحقيق الأساتذة: مصطفى السقى، وإبراهيم الأبيارى، وعبد الحفيظ شلبى، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1940م.
3. البيان المغرب فى أخبار الأندلس والمغرب (قسم الموحدين): ابن عذارى المراكشى، تحقيق الأساتذة: محمد إبراهيم الكتانى، ومحمد زنيبر، ومحمد بن تاويت، وعبد القادر زمامة، دار الغرب الإسلامى، بيروت، ودار الثقافة، الدار البيضاء، ط1، 1985م.
4. تاريخ الدولتين (الموحدية والحفصية): أبو عبد الله محمد بن إبراهيم المعروف بالزركشي، تحقيق: محمد ماضور، المكتبة العتيقة، تونس، 1966م.
5. تاريخ ابن خلدون (المسمى: "كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر "): عبد الرحمن

ISSN: 2462-2508

بن خلدون، تحقيق: خليل شحادة ودكتور سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، 2000م. .

6. ديوان ابن الأبار: قراءة وتعليق: عبد السلام الهرّاس، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، 1999م.
7. الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة: ابن عبد الملك المراكشي، تحقيق: د/ إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، الطبعة الأولى 1973م.
8. رحلة التجاني: أبو عبد الله بن محمد بن أحمد التجاني، تقديم: حسن حسني عبد الوهاب، الدار العربية للكتاب، ليبيا وتونس، 1981م.
9. الروض المعطار في خبر الاقطار: محمد بن عبد المنعم الحميري، تحقيق: د/ إحسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت، ط2، 1984م.
10. زواهر الفكر وجواهر الفقر: أبو العلاء محمد بن علي بن المرابط المرادي (663هـ)، (المخطوط بمكتبة الأسكوريال رقم: 520).
11. سير أعلام النبلاء: محمد بن أحمد الذهبي، تحقيق: د/ بشار عوّاد معروف و د/ محيي هلال سرحان، مؤسسة الرسالة، سوريا، ط9، 1997م.
12. عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية: أحمد الغبريني، تحقيق: عادل نويهض، دار الآفاق الجديدة، بيروت.
13. المقتضب من كتاب تحفة القادم: ابن الابار البلنسي، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري بالقاهرة، ودار الكتاب اللبناني ببيروت، ط2، 1982.
14. نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب: أحمد بن محمد المقري التلمساني، تحقيق: د/ إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ط1، 1997م.
15. فوات الوفيات: ابن شاكر الكتبي، تحقيق: د/ إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1973م.
16. الوافي بالوفيات: صلاح الدين الصفدى، تحقيق: أحمد الأرناؤوط، وتُركى مُصطفى، دار إحياء التراث العربى، بيروت، الطبعة الأولى 2000م.
17. وفيات الأعيان: ابن خلّكان، تحقيق: د/ إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ط1 1967م.

ثانيا: المراجع العربية:

1. ابن الأبار البلنسي – الشاعر الوفي لوطنه: عبد السلام الهرّاس، مجلة الفيصل، العدد 278، نوفمبر – ديسمبر 1999م.
2. الأعلام، خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الخامسة عشرة 2002م.
3. أصول النقد الأدبي: أحمد الشايب، مكتبة نهضة مصر، القاهرة 1994م.
4. تاريخ الأدب العربي: عمر فروخ، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الأولى 1983م.
5. تجديد ذكرى أبي العلاء: د/ طه حسين، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، 2014م.
6. دراسات في تاريخ المغرب الإسلامي: د/ عز الدين عمر أحمد موسى، دار الشروق، القاهرة، الطبعة الأولى 1983م، ص 83.

ISSN: 2462-2508

7. دولة الإسلام في الأندلس (عصر المرابطين والموحدين): محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط2، 1990م
8. شعر الاستصراخ في الأندلس: جمع وإعداد عزوز زرقان، دار الكتب العلمية، بيروت.
9. مناهج النقد الأدبي: إنريكِ أندرسون إمبِرت، ترجمة: د/ الطاهر أحمد مكي، مكتبة الآداب، القاهرة 1991م.
10. مناهج النقد الأدبي: يوسف وغليسي، جسور للنشر والتوزيع، الجزائر، 2007م.

ثالثا: المراجع الأوربية:

1. POESÍA Y ARTE DE LOS ÁRABES EN ESPAÑA Y SICILIA, POR ADOLFO FEDERICO DE SCHACK. TRADUCIDO DEL ALEMAN POR DON JUAN VALERA, de la Real Academia espafiola, MADRID, IMPRENTA Y ESTEREOTIPIA, 1867.
2. POESÍA Y ARTE DE LOS ÁRABES EN ESPAÑA Y SICILIA